التوظيف الإيطيقي للرقابة في زمن الكورونا من خلال فلسفة ميشال فوكو

The aesthetic employment of censorship in the time of coronavirus through Michel Foucault's philosophy

لوط تالية*[1]، إشراف: أ.د موسى عبد الله [2]

تاريخ الاستلام: 2021/03/31 تاريخ القبول: 2021/08/02 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

شهد العالم موجه خوف و هلع و فزع هز الإنسانية برمتها نتيجة ظهور فيروس الكورونا المستجد بداية من الصين في ديسمبر 2019 ليعم كل أنحاء العالم نظرا لانتشاره السريع . فقد حصد هذا الفيروس التاجي عدد كبير من أرواح البشر ، الأمر الذي زاد من حدة القلق و دفع الدولة إلى إعادة تنظيم استراتيجياتها . و قد تجسد ذلك في توسيع دائرة الرقابة الأمنية و الصحة على الناس، و تبني استراتيجية السياسة الحيوية من خلال العودة الى ما أشار اليه ميشال فوكو، و السعي إلى التفكير في الحجر الصحي سواء الكلي أو الجزئي. المهم تحقيق التباعد حتى لا يؤثر ذلك على تخريب النسيج الاجتماعي ، إذ أصبح كل فرد يشكل خطر على الآخر . واتخذت الدولة أرقى الوسائل و أحدث التقنيات من أجل رقابة صارمة على المواطن خاصة بعدما خرج الوضع الصحي عن السيطرة أين وجدت السلطات المعنية نفسها عاجزة عن تقديم الرعاية الطبية، وغياب الانضباط العالمي فيما يخص التلقيحات اللازمة . كل ذلك ينتج عن التفشي السريع للفيروس القاتل، فخطورة الفيروس جعلت المواطن ينصاع لكل ما يأمر به حتى و إن كان ذلك على حساب حريته الشخصية. و المهم يتجاوز مرحلة الخطر و في الوقت نفسه اتخذت الكثير من الدول آلية الرقابة مصدر للسلطة و فرض السيطرة على المواطنين.

كلمات مفتاحية: الرقابة.، السلطة.، كورونا.، الإقصاء.، ميشال فوكو.

* مخبر تطوير للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سعيدة، د. مولاي الطاهر(الجزائر)، البريد الالكتروني: lottalia20@gmail.com

[2] جامعة سعيدة، د. مولاي الطاهر(الجزائر)، البريد الالكتروني:،pr_moussa@yahoo.fr ،

Abstract:

The world has witnessed a wave of fear, panic and dread that shook humanity as a result of the emergence of the new corona virus, beginning in china in December 2019. To prevail all over the world due to its rapid spread. This corona virus has claimed a large number of human lives, which has heightened anxiety and prompted the country to reorganize its strategies. This was embodied in the expansion of the security and health control department over people, adopting a vital policy strategy by going back to what Michel Foucault had indicated, and seeking to think about quarantine, whether total or partial. The important thing is to achieve separation so as not affect the sabotage of the social fabric, as each individual has become a danger to the other. The state took the finest means and the latest technology to impose strict control on citizens, especially after the health situation got out of control, where the relevant authorities found themselves unable to provide medical care, and the absence of global discipline regarding the necessary vaccinations. All of these results from the rapid spread of the deadly virus, the danger of the virus has caused the citizen to comply with everything he orders, even if at the expense of his personal freedom.

Keywords: Censorship; authority; coronavirus; isolation; Michel Foucault.

1-مقدمة:

سجلت البشرية خلال مسارها التاريخي الكثير من التجارب السابقة للانتشار الواسع للجائحات والأوبئة عبر الدول، والتي يمكن من خلالها أن ندرك حجم الخطر الذي سببته على الإنسانية و كيف استطاعت أن تغير مجرى العلاقات الدولية على الصعيد الاقتصادي و السياسي ، فمثل هذه الصدمات الكبرى تركت أثر سواء على المجال النفسي كالقلق، الاضطراب، الخوف... أو على المجال الاجتماعي كتفكيك النسيج الاجتماعي إذ يصبح كل شخص يمثل خطر على الآخر، وهذا ما استدعى حضور فكرة التباعد، الحجز، الاقصاء، العزل... وقد كشف فوكو النقاب عن مختلف مظاهر الاقصاء والتهميش من

خلال المراقبة المفروضة على المريض و المجنون و المجرم التي طالت الذات الغربية بتطبيقه لمبادئ المنهجية الأركيولوجية ، ورغم اقتران ذلك بفترة زمنية ماضية ، إلا أن الأمر يتجدد في الفترة الراهنة حين وقف العالم عاجزا و مصدوما أمام فيروس كورونا الجديد و الذي انطلق من الصين و بضبط في منطقة يوهان في ديسمبر 2019، ثم انتشر في عدة دول ليست في المحيط الاقليمي لبلاد المنشأ فحسب ، بل عمت هذه الجائحة كل أقطار العالم .

ورغم ما وصلت إليه الانسانية من تقدم علمي و تكنولوجي في جميع المجالات ، إلا أنها لم تستطيع التعايش مع مثل هذه الأزمة ، ولكن رغم تعزيز الدول لسلطتها في مراقبة المواطنين إلا أن ذلك لم يحد من مخاوفهم ، ووجد المواطن نفسه أمام منفذ مظلم ، من جهة تخوفه من انتشار الفيروس و هلاكه، ومن جهة أخرى تخوفه من استغلال الحكومات أساليب القمع و الرقابة الصارمة عليه، و المساس بكرمته وشخصيته و الحد من حريته تحت غطاء الرقابة التي فرضتها كورونا.

وعليه يمكننا القول هل أساليب الرقابة المعتمدة في زمن الكورونا تنتهي بانتهائها أم لها امتدادات إلى زمن غير معروف ؟. وهل ما يطبق من اجراءات على المواطنين هو حماية لهم فعلا أم ذريعة لفرض التسلط ؟. و هل هدف الرقابة صحي أم سياسي؟. وأين تجسدت مظاهر السياسة للمرض؟. و كيف نفسر عودة أغلبية الدول إلى تبني فكر ميشال فوكو واعتمادها السياسة الحيوية في ظل هذه الجائحة؟.

2-تاريخ الأوبئة عبر العصور:

سببت الأوبئة دمارا على حياة البشر و سبل عيشهم على مدار التاريخ ، و تعد الكوليرا و الطاعون و الجذري و الأنفلونزا و نقص المناعة من أكثر الأمراض الوحشية التي أثرت على الانسان عبر فترات تاريخية مختلفة . ففي العصور الوسطى شهد جسد المصابين بالجذام اقصاء كلي ، إذ تم عزلهم داخل المستشفيات ، و قد نظر الى جسد المجذومين على أنه سخط إلهي من جهة و من جهة أخرى هو عناية الهية و هكذا:" فان دلالة الاقصاء ، و أهمية هذه الصورة داخل المحيط الاجتماعي لا يمكن استبعاده دون احاطته بهالة قدسية"(ميشال فوكو، 2006، ص26) .لأن إقصاء المريض بالجذام من الوسط الاجتماعي يجسد صورة الله.

فوجود الداء و اختفاؤه في تلك الفترة يكشف عن غضب الله و رحمته يقول قداس كنيسة فيينا :" يا صديقي إنه ليرضى الله أن تكون مصابا بهذا المرض، و إنها لعناية منه أن يعذبك على الشرور التي ارتكبتها في هذا العالم "(ميشال فوكو، 2006، ص26). ورغم اقصاء المريض بالجذام من الكنيسة واستبعاده من جوار القدسين إلا أنه يبقى تحت الرعاية الإلهية ، فإقصاؤه كان بهدف الحد من انتشار

المرض لذا أضحت مراقبته أمر ضروري حتى يشعر الآخرين بالأمان ، لأن حضور المريض داخل الجماعة يشكل خطر على البقية.

فعندما اجتاح وباء الطاعون أوروبا في القرن السادس عشر وجهت أوامر لإبقاء الناس في منازلهم مدة ما تقارب شهر في حالة ما أصيب شخص ما يعيش بينهم بالمرض، ففي لندن " كان يتم منح كل أسرة عصا بيضاء تعرف بعصا الطاعون، يحملها أي فرد من الأسرة، عندما يخرج لشراء احتياجاته الأساسية، و كانت العصا بمثابة تحذير للناس في الشارع من أن حاملها يعيش في منزل به مريض بالطاعون و بالتالي ينبغي الابتعاد عنه"(https، 2020،)و بهذه الطريقة يكون مراقب من طرف الجميع، بغية أخذ الحيطة والحذر من أي مصاب يمكن أن يتسبب في نشر العدوى إلى الآخرين.

فكلما حل الوباء كلما تزايد قلق الناس و تم اقصاء المصابين بوضعهم في المستشفيات بمعزل عن السكان الأخرين، و قد طبق ذلك حتى على الحمقى و المجانين و كان الطرد يقتصر على الحمقى الغرباء عن المدينة، فكل مدينة كانت تتكفل بحمقاها، وكان رحيل المجانين و عودتهم ذات منفعة اجتماعية واستقرار لأمن المواطنين فحتى و إن كان للمجانين الحق في و لوج الكنيسة و ممارسة طقوس التعبد إلا أنهم كانوا محرومين منها .

فقد حدث و إن جلد المجانين أمام الملأ بحيث يطلق سراح المجنون و " تتم مطاردته إلى أن يغادر المدينة ، و العصا تهوي على ظهره ، إنها اشارات تدل على أن مغادرة المجانين للمدينة تدخل ضمن طقوس أخرى للإقصاء".(ميشال فوكو، 2006، ص 32)وقد كان الاقصاء كلي للمجنون و اعتباره من الشواذ في المجتمع ، فكان من الضروري نبذه بحكم أنه يشكل خطر على المجتمع، فقد نظر للمجنون على أنه آفة اجتماعية يجب القضاء عليها بشكل نهائي .فالتعامل مع ظاهرة الجنون و بالأخص حينما وقع تحويل مستشفيات الجذام إلى مصحات عقلية بالاستناد إلى نظرة فيزيولوجية تتمثل على أنه عرض مرضي مشابه للأعراض المرضية الأخرى.

و لكن الأمر لم ينتهي هنا بل تجاوز ذلك إلى نقلهم إلى أماكن بعيدة ، بحيث كان يتم وضع المجانين و الحمقى في سفينة و الإبحار بها ، وقد سميت بسفينة الحمقى " كثيرا ما شهدت أوروبا تلك السفن و هي تعبر الأنهار و على ظهرها عدد كبير من الحمقى"(ميشال فوكو، 2006، ص30). و تعتبر سفينة الحمقى تدبير سياسي جديد للمرض، فقد ظهر مع بداية التخلص من الجذام الذي هز العالم الغربي. لأن المجنون مثله مثل المجذوم، إذ ترك الجذام إرثا لا يستهان به من إكراه و عزل و تهميش و اقصاء.

فبعدما كان يتم الإبحار بالمجانين في سفن تائهة بهم ، سيعلن عن اجراء الحجز الذي تعود مراحله الأولى إلى ذلك :" المرسوم الملكي الصادر في أفريل 1656 الداعي إلى إنشاء المستشفى العام "(ميشال فوكو، 2006، ص86). و مثل هذه المؤسسة سيعمم انشاؤها في كل أنحاء العالم الغربي "فمنذ منتصف القرن السابع عشر ارتبط الجنون بهذه الأرض الخاصة بالحجز"(ميشال فوكو، 2006، ص70)

3-الآليات السلطوية لدى ميشال فوكو لمراقبة المجانين والمساجين:

إن مكان الحجز كمؤسسة تتبنى تقنيات جديدة و استراتيجيات هي الجانب الخفي للسلطة أو ما يسميه فوكو ميكرو فيزياء السلطة ، وهي السلطة التأديبية .الانضباطية .كاستراتيجية لترويض و اخضاع الأجساد من الناحية السياسية و لكنه اخضاع نافع من الناحية الاقتصادية ، إذ: "أصبحت موضوع عمليات سياسية و حملات ايديولوجية للإصلاح الأخلاقي أو التحسيس بالمسؤولية و يتم ابرازها كمؤشر على قوة مجتمع ما ينم عن طاقته السياسية و قوته البيولوجية "(ميشال فوكو، 1990، ص147). فقد تميز العصر الكلاسيكي بالحجز و الاكراه و القمع بكل الوسائل ، بحيث تم استغلال المحجوزين كيد عاملة رخيصة ، فالاهتمام بالمجانين في تلك الفترة كان مرتبط بالعوامل الاقتصادية لا بالعوامل الصحية أو الانسانية كما يرجع فوكو السبب الأول للحجز إلى انتشار البطالة.

و منه يتم تسخير المجانين و الحمقى لما هو نافع ، فضمن المراقبة التي تم من خلالها خضوع جسد المجنون بدأت تتكون معرفة المجنون ذاته ، و أصبح البحث يتعلق بسبب مجيئه ، وما هو سبب الشكوى منه، والتنقيب في سيرته الذاتية لتكوين ملف خاص به يضاف إلى عملية عزله داخل المستشفى. بهدف تجسيد قوة القانون الذي فرض سيطرته على ظاهرة الجنون بآليات سلطوية متعددة تهدف إلى إقصاء المجنون و تهميشه بدعوة خطاب العقل و الطب حيث ربط الجنون بحالات مرضية شتى ، و أصبح التعامل مع المجنون لا كظاهرة مرضية ذات بعد نفسي و إنما كان التعامل معه على المستوى الجسدي.

اضافة إلى ذلك تم الاعتماد على تقنية حديثة لاستجواب المجنون و هذا ما يقتضيه طب العيادة ، إذ يحمل الطبيب سلطة اضافية تضاف الى سلطته " ذلك أن المريض سرعان ما سيقوم في إطار نظام العزل بأداء الدور الذي حدده له المجتمع ، إذ أنه خلال تموضعه و ضياع حريته على يد الطبيب المعالج يسارع إلى التوفيق بين سلوكه و بين الصورة التي يرسمها له طبيبه المشخص و يثبت ملامحها ممرضوه و زملاؤه "(الكردي محمد علي، 1998، ص98). وفق هذا الاخضاع لجسد الحمقى ينتج جسدا انضباطيا ، و قد يتمكن بفضل هذه التقنيات الانضباطية من الشفاء ، ومن خلال ذلك سيحدد الجسد السوي مقابل الجسد المريض. وحتى و إن استبدلت السفينة بالمستشفى و تحولت هجرة المجانين والابحار

بهم الى اعتقال إلا أن ذلك لا يقلل من بشاعة العنف الذي مارسته السلطة عليهم ، فالاعتقال داخل المستشفى لا يقل عن السفينة خاصة عندما تتحول دور الحجز إلى مؤسسات سياسية تستجيب لرهانات السلطة المتمثلة في التحكم في حقل البؤس و ترتيب عناصره.

و هكذا أصبحت مشاريع السجون في القرن الثامن عشر و القرن التاسع عشر تؤسس على شاكلة البرنامج الهندسي البنائي البانوبتيك لجريمي بينتام ، لأنه كان كأسلوب الأكثر مباشرة لترجمة ، الذكاء ، الانضباط و السجن في ذاته يدخل ضمن تقنيات الانضباط إذ أصبحت المؤسسات الأخرى تؤسس على منواله أيضا :" فهو شبيه المصانع ، المدارس ، الثكنات ، المستشفيات، التي جميعها شبيهة بالسجون"(ميشال فوكو، 1990، ص230). وذلك لتفعيل و تلطيف الرقابة و الاشراف بدون انقطاع حتى تحل محل القوة و محل الاكراهات وفق ما يتماشى مع الاستراتيجية الحديثة و النظرية العقابية الجديدة خاصة بعدما أصبحت الهندسة البنائية شفافة أمام تنظيم السلطة. فتكنولوجيا السلطة هي تكنولوجيا انتاج الفرد تمثل هذه السلطة في توظيف الجسد من قبل العلاقات السلطوية" يتحول جسد الفرد عبر هذه التكنولوجيا الجديدة إلى موضوع للتنظيم . فالمدرسة، السجن، المستشفى، والعيادة، والجيش كلها مؤسسات لتنظيم الأجساد ووضعها في اطار من الانضباط و فرض حركات و أفعال محددة"(الزغبي سمير، 2020، ص15).

إن الميكرو فيزياء السلطة التي تمارس في السجون عممت حتى في الثكنة وما يجب أن يتمتع به الجندي." فإذا كانت القواعد القانونية تمثل الجانب الماكرو سياسي ، وهو جانب مخفي و لا مرئي ، فقد نظر فوكو إلى السلطة نظرة جزئية مجهرية و تتجلى في المؤسسات و البرامج لأن الانضباط نمط من أنماط السلطة و نموذج من نماذج ممارستها"(عبد العظيم حسني إبراهيم، 2020، ص15).

كما يتابع فوكو هوس السلطة بالجسد في مؤلفه الضخم " تاريخ الجنسانية". و تحديدا أداءه الحيوي الجنسي و كيف يتم التعامل مع ملذات و متع الجسد ، حيث أصبح اعداد جنسانية نافعة اقتصاديا و محافظة سياسيا، و منه أصبح الأفراد في قبضة السلطة من خلال استراتيجية الاعتراف، المراقبة للسلوك الجنسي لمتع الجسد و طاقاته و بالتالي التمييز بين متع نافعة يجب تحويلها الى أهداف انتاجية و متع غير نافعة يجب اقصاء أصحابها:" فالفحص الطبي ، و البحث الطبي ، العقلي ، و التقرير التربوي، و المراقبات العائلية ، إن كل هذه الأشياء يمكن أن يكون هدفها الكلي و الظاهر أن تقول : لا لكل الجنسانيات التائهة أو غير المنتجة"(ميشال فوكو، 2003، ص40)

ففي دراسة فوكو لتاريخ الجنس، كشف على أن الجنس أضحى مادة للصراع السياسي تمارس من خلال معرفة طبية محددة" فالجنس كمظهر من مظاهر أنشطة الجسد يشكل رهانا سياسيا ، فهو من جهة يرتبط بأشكال ضبط الجسد: ترويض، تقوية، توزيع القوى، تدبير الطاقة، ومن جهة أخرى يرتبط بتنظيم السكان مع كل ما يثيره هذا التنظيم من قضايا"(عبد العظيم حسني إبراهيم، 2020، ص16). ومنه فإن مراقبة المجتمع للأفراد لا تتم فقط على مستوى الوعي و الايديولوجيا و إنما على مستوى الجسد ، فمن ترويض جسد المجنون داخل الحجز الى ترويض المجرم داخل السجن إلى مراقبة الطفل والتلميذ و المرأة و الشواذ. و هي عمليات تهدف إلى خلق جسد انضباطي، و هذا ما نصت عليه عقلانية العصر الكلاسيكي.

و هذه التقنيات الفيزيائية تظهر في عملية تقسيم الأجساد في المكان، حيث يتم تقسيمها و تفريقها من خلال عملية العزل، و يكون حسب اختلاف وضعية أصحابها، و لكن إلى جانب العزل هناك تقنية التربيع المتمثلة في تحديد مكان كل فرد. وتمارس هذه السلطة وظيفتها من اجراءات الضبط و التقسيم للأفراد حسب المكان: المجرم في معزل، الجندي في الثكنة و الحجز للمشردين . تعتبر المراقبة والانضباط في نظر فوكو تقنيات حديثة للسلطة فهي تحث على الانتاج بحيث تخلق السلطة معايير السلوك من خلال المراقبة و فرض الالتزامات و تطوير العادات فتعمل المجتمعات على توسيع آليات الرقابة و سلطة الضبط.

فالفردنة داخل مكان معين تفكك الكثرات و تمركزات الجماعية و تزيل الغموض تجاهها ، و يسهل عمل السلطة التأديبية على أن يكون المكان الذي يوزع فيه الأفراد هندسة معمارية جاهزة للتأديب حتى تكون له وظيفة انضباطية ، فالهندسة تكون وفق متطلبات الانضباط كجاهزية المكان الذي يقدمه نموذج البانوبيتيك كفضاء بصري مقنن للكثير من الاستعمالات.

فقد كان الانتقال من المباني المنفتحة على الداخل ذات الأشكال الدائرية إلى مباني ذات طابع هرمي ، ومن الحائط إلى الجدران الشفافة عن طريق تزجيج الجدران القاطعة للغرف ، كما تم انشاء مراحيض ذات أبواب نصفية للسماح بمشاهدة رأس و رجلي التلاميذ " إنه حرص لامتناهي على المراقبة حققته الهندسة المعمارية بفضل آلاف الترتيبات"(ميشال فوكو، 1990، ص188). فعلى الرغم من الوظيفة التي استطاعت المباني تحقيقها في عملية الرؤية بشكل مفصل شغلت السلطة أجهزة أخرى تمكنها من المراقبة كالمراصد، النواظر ، العدسات ، الشاشات . هذا إلى جانب وضع الأفراد ضمن مسافات مصفوفة ، يتمكن

من خلالها الترتيب ، التصفيف، التقييم، و كذا مدى الاعتماد على جدولة النشاط الذي يرتبط بدوره على اقامة رزنامة زمنية للنشاط ، حيث يتحدد هذا الأخير بالوقت بشكل صارم و دقيق .

كما أن الرقابة على الاجساد من خلال رصد معلومات عنها في المستشفى ، في المدرسة، في الثكنة وكتابة التقارير كعملية توثيقية رقابية و ضعت الأفراد في شبكة من التحرير ، إن الكتابة كسلطة تكونت هي الأخرى " كقطعة أساسية في دواليب الانضباط "(ميشال فوكو، 1990، ص200). هذه المراقبة تؤدي إلى عمليات عقابية تسلط على الجسد إذا كانت هناك مخالفات ، و ذلك لردع مثل هذه المسلوكات . فكلما كانت هناك مراقبة كان هناك انضباط. وقد تم معالجة اشكالية العقاب و تحويلها من فن تعذيب وتطويع الجسد إلى فن تعذيب الروح، و بات ينظر إلى المجرم على أنه مريض يحتاج إلى اصلاح و تقويم عن طريق السجن إلا أن هذه الاستراتيجيات التي انتهجتها الدولة في التعاطي مع ظهور الجسد و الانتقال من الاعتقال و الاعدام إلى العلاج و الاصلاح لا يعني تغير منطق السلطوي الذي حكم علاقة الدولة بشواذها..

4-إنتعاش الرقابة في زمن الكورونا:

إن الأزمة العالمية التي تمر بها البشرية جعلها عاجزة على التصدي لمواجهة مثل هذه المخاوف خاصة مع ظهور فيروس كورونا ، فبالرغم من التطورات التي شهدها العلم في المجال التكنولوجي و التقني إلا أنه لم يستطع فك شفراته ، الأمر الذي زاد من قلق الجميع ، فمع انتشار فيروس الكورونا المستجد والتزايد السريع للمصابين و ارتفاع عدد الوفيات ، أضحى من الضروري البحث على آليات جديدة تعمل على مراقبة المصابين ، فقد استخدمت الدول تكنولوجيات حديثة بغية فرض الرقابة على الأسر التي يتواجد فيها المصاب ، بهدف الحد من انتشار الفيروس في أنحاء العالم بأسره ، و إثر ذلك نصحت المنظمة العالمية للصحة بالتكيف مع الوباء شريطة تكثيف آليات المراقبة .

فقد أدى تفشي وباء الكورونا إلى اتخاذ إجراءات غير مسبوقة في جميع أنحاء العالم ، كإيقاف كل التحركات . إذ شلت حركة الناس حتى داخل حدود أوطانها. و علقت المطارات السفر بين البلدان، ومنع الاختلاط بين الناس في الأماكن العامة. و فرض الحجر الصحي الجزئي و الكلي حسب درجة انتشار الفيروس. و احترام التباعد بين الأفراد و الالتزام بكل البروتكولات الصحية ، و ارتداء الأقنعة الواقية من الفيروس و التعقيم عبر فترات زمنية متقاربة خشية من الانتشار الفائق للفيروس.

إذ أصبحت مراقبة آثار فيروس كورونا و احتواؤها و تخفيف حدتها على رأس الأولويات ، وباتت كل الجهود تنصب حول تنشيط آليات مراقبة دقيقة و شاملة ، و سارعت الدول إلى تجسيد" أنظمة مراقبة يمكنها متابعة تحركات سكان العالم كافة بفضل الإشارات غير مرئية التي تصدر عن الهواتف

الذكية التي نحملها حيثما نتواجد"(https، 2020). فقد تم مراقبة الناس انطلاقا من الهواتف و هي مراقبة تكنولوجية جد متطورة. و تتم في سرية تامة دون أن يعلم المواطن أنه مراقب

كما توجد تقنية طائرات بدون طيار تحلق فوق المتنزهات و داخل المدن لرصد و تتبع حركات الناس. إذ تقوم بإعطاء اشارات و تحذيرات صوتية للأشخاص الذين لم يلتزمون بالإجراءات المتخذة إيزاء الفيروس و تحقيق المراقبة الاجتماعية للحد من انتشار الوباء " ففي ايطاليا استعملت طائرات مزودة بجهاز استشعار حراري لقياس درجة حرارة مخالفي الطوارئ و ارسال المعلومات الى مشغل الحرارة"(شرود إدريس، 2020، ص10).

ومنه" يجب أن ترتبط صلاحيات المراقبة المتعلقة بالجائحة بفترة تفشي الوباء العالمي ، و ان تنتهي تلقائيا فور انتهاء الأزمة لقطع الطريق على استمرارها الى ما لانهاية "(https، 2020). إذ أصبح من الصعب التوفيق و الموازنة بين منطق القبول بما تقتضيه الظروف الراهنة و الاستثنائية و التي باتت تشكل أكبر خطر على الانسانية و بين صعوبة التخلي عن الحرية و استحالة الانسلاخ عن الأمور الشخصية وفي هذا النحو تقول ميشيل جيليمان بحسب ما ينقل عنها موقع " كون ديسك".وهكذا توالت التخوفات من امكانية استعمال هذه التكنولوجية لأغراض المراقبة و تقويض الخصوصية و الحرية، و تجعل أزمة كورونا الوضع الجديد للحياة اليومية بعد مرور الأزمة .ومنه تلجأ الدولة لاستعمال أساليب قمعية أثناء المراقبة تغيب فيها الشفافية .

ففي نظر سلافوي جيجك أن الناس لهم كامل الحق في تحميل سلطة الدولة المسؤولية وهذا ما جعل الحاجة الى مراقبة السلطة نفسها.

و في نفس السياق نشر في أفريل 2020 أكثر من 130 منظمة حقوقية تحذر من توسيع سلطات الرقابة الحكومية للمجتمعات في ظل جائحة كورونا ، و جاء في الخطاب": أنه لا يمكن للدول ببساطة أن تنتهك حقوق مثل الحق في الخصوصية و حرية التعبير ، يدعو إلى مواجهة أزمة صحية عامة ... و إذا كان لنا أن نتعلم شيئا من التاريخ فإن الحكومات فرضت في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001 الارهابية على نيويورك و واشنطن أنظمة مراقبة على المواطنين أصبح من الصعب التخلص منها بعد ذلك"(https، 2020). أي أن الأمريكيين باتوا على دراية و تعلموا الدرس في هذا الشأن بعد تلك الهجمات ، و ظلت تحظى بإمكانية الوصول إلى أنظمة مراقبة فائقة القوة و تتبع المواقع الدقيقة للأشخاص إلا أنها أعيد استخدام آليات المراقبة لأغراض سياسية ، وهذا لقول ألبرت فوكس كان": يمكن أن ينتهي بناء الأمر بسهولة إلى وضع يمكننا فيه تمكين السلطة المحلية أو حكومة الولاية أو الحكومة الفيدرالية من اتخاذ

تدابير لمواجهة هذا الوباء تغير بشكل أساسي نطاق الحقوق المدنية الأميركية"(https, alaraby، 2020). فقد منحت للسلطة صلاحيات واسعة لمراقبة الاتصالات و السيطرة على وسائل الإعلام و مصادرة الممتلكات الخاصة و فرض قيود صارمة على حرية التنقل، و أصبحت الحكومات تستغل ظروف كورونا لقمع المعارضين و حرية الرأي.

و في اسرائيل سمحت الحكومة لجهاز المخابرات باستخدام نظام مصمم لمكافحة الارهاب لمراقبة وتعقب المصابين بالكورونا و فرض الحجر الصحي عليهم . و استخدام تقنيات مراقبة موقع المصابين عبر تعقب هواتف الملايين من المواطنين خلال الجائحة ، و وفقا لصحيفة هاآرتس الإسرائيلية أن الحكومة الإسرائيلية تتبع تحركات الفلسطينيين و الاطلاع على اتصالاتهم و الرسائل التي يتلقونها عبر هواتفهم الخلوية . وهذا كله بهدف تحديد الموقع الجغرافي للتحكم في تحركات سكانها ، و هذا ما شرع الأبواب أمام تطوير أشكال جديدة من أعمال التجسس و الملاحظة و التتبع في وقت لاحق.

وترى شوشانا زوبوف" أن التقنيات الجديدة بالرغم من كونها توفر الكثير من الخدمات والتسهيلات المريحة للجنس البشري ، فإنها تهددها اليوتوبيا التي أخذتها التقنية على عاتقتها ، بما فيها تقليص الخيارات الفردية التي كانت متوفرة فيما مضى"(الرواحي علي، 2020). إن هذا الاجتياح بالرغم من الكثير من الاغراءات التي تحيط به فإنه يقتحم الخصوصية الفردية و يقوم بإعادة تشكيل الكثير من القيم التي تأسست عليها المجتمعات الحديثة كالفردية و الحرية إذ تقول في كتاب " عصر الرأسمالية المراقب" " هؤلاء الموجودون في السلطة يدركون منذ وقت طويل أن أوقات الأزمات تمثل فرصا استثنائية لجعل الكثير من الممارسات السلطوية المفروضة أمرا معتادا حتى قبل أن يتحرك أي شخص للتصدي لها"(https,2020). فمن أكبر المخاطر الأساسية هي أن الدول الديمقراطية تميل نحو نماذج سلطوية لاحتواء جائحة كورونا.

أما يوفال نوح هراري فيتخوف من استغلال السلطات أزمة كورونا لقرصنة الناس و فهم أفكارهم و مشاعرهم غير أنه يراهن من جهة أخرى و في ظل الأزمة على قدرة البشر على ايقاف الوباء من خلال اشتراط الثقة بين الحكام و شعوبهم، و بين الحكام بعضهم بعض و ايجاد خطة عالمية منسقة"(شرود، 2020). حتى يتسنى للبشر التمتع بأكبر قدر من الذكاء و الانضباط لذا يقول يوفال :" فمثلما تؤمم البلدان الصناعات الرئيسية أثناء الحرب فإن الحرب الانسانية ضد فيروس كورونا قد تتطلب منا أنسنة خطوط الانتاج الحيوية"(الناسك محمد، 2020). أي يجب أن يكون هناك تعاون حتى بين الدول و تنسيق الخطط بالكامل " ويبدو يوفال متفائلا بشأن المستقبل و يستعجل التفكير في شكل العالم الذي تنوي

العيش فيه و ليس فقط في تجاوز أزمة وباء كورونا "(شرود إدريس، 2020). من خلال مراقبة حتى السلطة في حد ذاتها إذ يقول:" إن تكنولوجيا المراقبة نفسها من الممكن استخدامها عادة ليس لمراقبة الأفراد فحسب بل قد يستخدمها الأفراد أيضا لمراقبة الحكومات "(الناسك محمد، 2020). لأن الذعر من تفشي الكورونا و خطر الموت وحّد بين البشر و جعل التباعد الجسدي ضرورة تفرضها الظروف فلا نعرف من يكون حامل للفيروس أنا أم الآخر بحيث ينبغي أن نتعلم كيف نعيش في عالم فيروسي و مع إعادة بناء طريقة جديدة للعيش بما ينطوي عليه ذلك الألم أن تكون هناك رقابة مزدوجة للخروج من الأزمة سواء بين الأفراد في ذاتهم أم بين الرعية و حكمائهم.

و تؤكد شوشانا زوبوف بقولها " لا أتفق مع القول أننا نتجه نحو مستقبل نخضع فيه للرقابة الصارمة يوجد شيء حتمي حاليا لكن هذا لا يعني أن نتحلى و علينا التحرك إلى الأمام و مضاعفة الرهان على الديمقراطية باعتبارها السبيل لتجاوز الجائحة بأقل قدر من التضحية بالحقوق و الحريات "(http، 2020). و قد كانت هذه رؤيتها التفاؤلية للعالم بعد زوال هذا الوباء.

و لكن ما يواجهه العالم اليوم من أزمات في الاقتصاد و المجتمع المدني و الحياة اليومية تولد عن أزمة واحدة و هي أزمة صحية عالمية قد أثرت على حالة الاستقرار السياسي سواء على مستوى البلدان أو على المستوى الدولي ، فمن الواضح أن هذه الجائحة غيرت طبيعة الحياة بشكل كبير عن الذي اعتدناه لأن " انتشار كورونا السريع و القاتل شل مراكز اقتصادية عالمية و امتدت آثاره السلبية إلى المنطقة العربية و تحاول مختلف الحكومات الخروج من المأزق باعتماد برنامج انتعاش اقتصادي"(شرود إدريس، 2020).

فالآثار الاقتصادية لانتشار فيروس كورونا الجديد عديدة و عميقة حيث إنه من المتوقع تراجع معدلات نحو الاقتصاد العالمي ، و سوى تحتاج الدول المؤسسات الاقتصادية إلى مجموعة من السياسات التي من شأنها التخفيف من حدة الآثار الاقتصادية عميقة لن تظهر آثارها في الوقت الراهن إذ " يهدد الفيروس التاجي ملايين الأرواح حول العالم و بالتالي لا يتركز آثاره على قطاع اقتصادي واحد فقط ، فعلى مستوى العالم تم تجميد معظم النشاط الاقتصادي هذا الأمر وحده يمهد لركود اقتصادي كبير"(عمر بكر محمد، 2020). فمثل هذه الصدمات الكبرى للأوبئة تعطل النظام السياسي و الاقتصادي و تغير مجرى العلاقات الدولية كما قد تجد أن الديمقراطيات الغربية تضع مبادئ حقوق الانسان مقابل الضروريات الاقتصادية.

وعليه يعد انتشار الفيروس من أصعب التحديات الحالية للإنسانية و تكمن خطورة المرض الجديد في سرعة انتشاره ، و تنذر هذه الأزمة بإعادة ترتيب بنية القوى الدولية بطرق لا يمكنها أن نتخيلها و أن الفيروس يواصل تأثيره السلبي على النشاط الاقتصادي و سيرفع من حجم الخلافات بين الدول ، وشكلت هذه الأزمة جوانب من حياة البشر و دفعتهم للتفكير في أسئلة فلسفية عن الحياة و الوجود وفرض آليات للرقابة إلا أنها جعلت الحجر الصحي سلاحا سياسيا و أداة انتقامية و كذلك موضوعا للتفاوض الدبلوماسي ، و سيؤدي إلى تغيير سياسات الدول داخليا و خارجيا و منه أثبتت كورونا أن دول العالم تفشل في تكيف استراتيجيتها مع هذا العالم الجديد.

فمن الطبيعي أن يشكل أي مرض أزمة طارئة لها تأثير على الحياة الفردية ، غير أن فيروس كورونا يختلف جذريا عن الفيروسات السابقة لأنه شكل أزمة الفرد و الجماعة و الانسانية بكاملها ، وما زاد صعوبة هو عدم العثور على الحلول و الوصول إلى سياسات تساعد على مواجهتها. لأن ما يعمق خطورة هذا المرض هو أنه يشكل طريقا للموت دون أن يصل العالم الى علاج فعال، فانتشاره السريع أصبح يضر بمكانة الدولة و فاعليتها الاقتصادية و السياسية على الصعيد العالمي، و يعمل على نشر الفزع والخوف مما يؤثر على الاستقرار الاجتماعي للمجتمع و الدولة عموما . و هو مرض يفرض العزلة القهرية و اجبارية على الفرد و يلزم السلطة اتخاذ تدابير لازمة و صارمة .

5-التوظيف الإيتيقي للرقابة في زمن الكورونا من خلال فلسفة ميشال فوكو:

فعلى مدار التاريخ كانت الأوبئة من أكثر صناع التغيير في مسار البشرية و أثرت على الحضارات من أول تفشي معروف، و قوضت تجربة كورونا الثقة في السلطات الادارية و الحكومية و شجعت الناس على التشكيك في نظام السلطة الحاكمة و التفكير في البدائل. و قد تبنت الدولة السياسة الحيوية في المراقبة، إذ اعتبر فوكو السلطة المسؤول الأول و الوحيد عن صحة البشر و حياتهم ، و أصبحت الدولة قادرة على التدخل من خلال الطب في اعادة التوازن للجسم ، و" هكذا أصبح الطب يحمل كل خصائص الدولة ومبررا جيدا تختفي وراءه الدولة لاحتكار حقل تدابير الأجساد ما يبرر خلقها لمؤسسات رقابية شبيهة بالسجن "(أوزيتة محمد، 2020).

ومنه نلاحظ أن فوكو قد سلط الضوء على الحقيقة التي تنجر من وراءها السلطة أثناء ممارستها على الفرد فعد أن كانت تتأسس على عملية التهديد بالقتل بغية الوصول إلى السيادة ، أصبح موضوعها قائم على البحث عن الأساليب التي تضمن الحفاظ على الحياة ، عن طريق ادارة هذه الأخيرة و تحسينها واخضاعها لرقابة مضبوطة وصارمة .

فالطب كما يرى فوكو " أحد النظم الأساسية التي ساهمت في اخضاع الجسد و ضبطه فقد تنامت السلطة الطبية و بسطت قبضتها على كل المجالات تحت دعوى رفع مستوى رفاهية الأفراد والسكان و كان هذا الاتجاه فعالا للغاية "(أمين سناء، 2020). و منه ساهمت السلطة الطبية من خلال خطابها العلمي في موضعة الأجساد المرضية عندما بدأت عمليات التشخيص الطبي. لذا أصبح الطب وحفظ صحة المواطنين منذ القرن التاسع عشر تقنية سياسية و علمية في الوقت ذاته. و تطورت هذه التقنية و باتت هي المخرج الوحيد في عز الأزمة التي هزت العالم و خففت من شدة هوسه اتجاه الجائحة التي قلبت الموازين في شتى المجالات خاصة الصحية منها .

و قد اتخذت مقاربة فوكو للمرض البعد السياسي و تجسد ذلك في السلطة الحيوية المتجلية في سلطة الأحياء بعد أن جعلت الدولة لنفسها مكانا ، بحيث أصبحت تدخل الدولة في الحياة تكنولوجيات كثيرة جدا و ارتبطت باستراتيجيات و سياسات و مخططات حيوية عديدة، و اتضح ذلك من خلال "التحول الذي عرفته القيمة السياسية للصحة داخل المجتمعات الانسانية ، حيث تحولت الصحة من شأن فردي خاص إلى أمر سياسي عام"(زكريا الإبراهيمي، 2016).و هذا ما شهده العالم في ظل تفشي جائحة كورونا .

وعليه تعتبر المراقبة و الانضباط من التقنيات الحديثة للسلطة فهي تحث على الانتاج ، حيث تخلق السلطة معايير السلوك من خلال المراقبة و فرض الالتزامات و تطوير العادات . " و يتم الاهتمام بها بواسطة مجموعة كبيرة من التدخلات و المراقبات الضابطة، إنها سياسة حيوية للسكان فإن أنظمة الجسد و ضوابط السكان تشكل اللذين انتشر حولهما تنظيم السلطة على الحياة "(ميشال فوكو، 1990، ص140). و قد امتدت هذه السياسة إلى تطوير العناية بالجسد حتى وضعت له قواعد و ضوابط هادفة و هذا ما أدى إلى تعدد أوجه المراقبة .

6-خاتمة:

وفي خاتمة هذه الورقة البحثية نسجل النتائج التالية:

إن الآليات التي اتخذتها الدولة لمراقبة المواطنين أثناء تفشي الوباء تجسدت في ظهور عدة أسس ترتكز عليها السلطة ، و تجلى بصورة كبيرة حين تبنت الدولة السلطة الحيوية التي أسهم فوكو في بلورتها. نظرا لاعتمادها على تكنولوجيا جيدة للسلطة ، تقوم بتسخير جملة من الاجراءات و الآليات بغية المحافظة على النظام و اتباع تخطيط قائم على التنمية و تطوير الدولة و تعمل على معاينة السكان عن

طريق مراقبة مصادر الحياة بما فيها الجانب الصحي . لأن قيام السلطة الحيوية يعني أن الحياة أصبحت من اهتمام الدولة.

لذا تبقى الدولة باسطة سيطرتها في فرض الرقابة على الأفراد سواء على المرضى أو الأفراد غير المصابين، لأن الكل تحت رعايتها، فالمريض من حقه المتابعة الصحية والعلاج. أما الأفراد غير المصابين هم الأخرين وضعوا تحت المراقبة حتى لا تنتقل لهم العدوى . و هذا ما أكد على ضرورة التباعد الاجتماعي حتى يسهل عمل السلطة في مراقبة كل فرد على حدى ، لأن موضوعها الحياة خاصة بعد أن تطورت التكنولوجيا السياسية التي تهتم بجسد الناس و ليس بجسد الفرد، لهذا سماها فوكو بالسياسة الحيوية لاهتمامها بالإنسان بوصفه كائنا حيا ضمن آليات المراقبة و الانضباط.

7-قائمة المراجع:

1- فوكو ميشال ،1990، إرادة المعرفة، ترجمة جورج أبي صالح.بيروت. المركز الثقافي العربي.

2- فوكو ميشال. 1990المراقبة و المعاقبة، ولادة السجن، ترجمة علي مقلد ، مراجعة مطاع صفدي، بيروت، مراكز الانماء القومي.

3- فوكو ميشال ،2003، تاريخ الجنسانية 1 إدراة العرفان، ترجمة محمد هشام ، المغرب.

4- فوكو ميشال ،2006، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة و تقديم ، سعيد بنكراد ، المغرب، المركز الثقافي .

الموقع الإلكتروني:

1. أمين سناء .2020. كوفيد 19 و الهيمنة . مثلث فوكو . https ;//www/alaraby.co.uk.

2. أوزيتة محمد.2020. فوكو وميلاد المستشفى موقع كوة . الفيروس التاجي هو مصيبة الرأسمالية في العصر الحديث./https://couua.com/tag.

3. الرواحي علي،2020، عصر الرقابة الرأسمالية، شوشانا زوبوف ، مراجعات .

4 - الناسك محمد، جائحة كوفيد 19.ترج العالم . http://studies.aljazeera.net.

5. الزغبي سمير،2020 ،فلسفة المشهد وجماليات التعذيب في مؤلف. المراقبة و المعاقبة. لميشال فوكو ?https://m.alewar.org/s.asp.

6 – الإبراهيمي زكريا .2020. ميشال فوكو : المدخل السياسي إلى الصحة. السياق التاريخي لتشكل المؤسسات و الممارسات الطبية. الحداثة و ما بعد الحداثة rnitysite.wordpress.com/2016/08/19.

7. شرود ادريس، 2020،كورونا " مجتمع المراقبة"، تأملات حول مستقبل قريب ، موقع أنفاس نت .

8. عبد العظيم حسيني ابراهيم . الجسد المقموع . قراءة في فلسفة ميشال فوكو .

7 https://mana.net/archives/2991

7 - شرود ادريس، كورونا، 2020، " مجتمع المراقبة"، تأملات حول مستقبل قريب ، موقع أنفاس نت

9.بكرمحمد،2020، جائحات و أوبئة غيرت مجرى التاريخ البشري.https://www.egures.com.

10. نصر الله فاطمة. 2020 انتعاش الرقابة في زمن الكورونا. الحريات و الحقوق و الخصوصية بخطر /https://www.alarady.co.uk.

11. /https://m.dw.com/ar.